المدرسة الكلامية السُنية في الغرب الإسلامي قبل ظهور الأشعرية

بقلم
ط د/ شافعي محمد عبد اللطيف (*) أ د/ عبد الغني عكاك (**)

ملخص

لقد كان الغرب الإسلامي موطنا لكثير من الفرق الإسلامية كالشيعة والخوارج، وهذا بسبب البطش والتنكيل الذي تعرضوا له في المشرق، وهذه الرحلة كانت سببا في احتكاكهم بأهل السنة في الغرب الإسلامي، الذي كان يتميز بوحدة وتجانس فكري قبل وصولهم، وهذا الاحتكاك القريب لا ريب يؤدي إلى ظهور مجالس الجدل والمناظرة، والدفاع عن عقائد أهل السُّنة، ومن خلال هذه المناظرات التي كانت تحدث بين مختلف الفرق، برز أعلام كثيرون من مدرسة أهل السُّنة شكلوا النواة الأولى للمدرسة الكلامية السُّنية في الغرب الإسلامي، من هاته المنطلقات جاءت هاته الورقة العلمية لتكشف أن الأشعرية امتداد للمدرسة الكلامية السُّنية، ولبيان هذا نتكلم أولا عن علم الكلام والمناظرة عند السَّلف، ثم نتحدث بالتفصيل عن أعلام المدرسة الكلامية السُّنية في الغرب الإسلامي ومؤلفاتهم.

الكلمات المفتاحية: علم الكلام؛ المدرسة؛ السنة؛ الغرب الإسلامي؛ الأشعرية.

(*) طالب دكتوراه. كلية: العلوم الإسلامية – قسم العقائد والأديان –تخصص: مذاهب اعتقادية وفكرية. جامعة الجزائر1 / moha350@gmail.com

(**) أستاذ التعليم العالي– كليّة العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر 1 / abdelghani_akak@yahoo.com

تاريخ الإرسال: 2018/03/31 تاريخ القبول: 2018/06/18

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مقدمة

لقد اهتم العلماء قديما وحديثا بعلم الكلام، لأنه ارتبط منذ نشأته بالقضايا الكبرى التي عالجها الإسلام، فقد تكفل المتكلمون بالدفاع عن الدين، وصد شبهات المناوئين، في مختلف الحقب الزمانية والبيئات المكانية، ويعتقد البعض أن معظم اشتغال علماء الغرب الإسلامي في هذه المرحلة كان بالفقه لكن الحقيقة على خلاف ذلك، فقد ظهرت عدة مدارس كلامية في هاته الفترة كان لها أثر في الحياة الفكرية والمذهبية، كالمعتزلة والإسماعيلية، لكن يغفل كثير من الباحثين عن المدرسة الكلامية السُّنية، ويظن أن ظهور علم الكلام في الغرب الإسلامي كان على يد الأشعرية، لكن سنكشف في هذا المقال أن الأشعرية امتداد للمدرسة الكلامية السُّنية، ولبيان هذا نتكلم أولا عن موقف السلف من علم الكلام، ثم نشير بالتفصيل إلى أعلام المدرسة الكلامية السُّنية في الغرب الإسلامي ومؤلفاتهم.

أولا: علم الكلام والمناظرة عند السَّلف

إن تأخر نشأة علم الكلام[1] عن غيره من العلوم كعلم النحو، وتعلقه بذات الله وصفاته، جعل المواقف تتباين حوله، فمع أن مقصوده حماية المعتقدات التي نقلها أهل السنة من السلف الصالح لا غير[2]، إلا أن بعض علماء أهل السنة لم يكن لهم اهتمام بالنقاش في المسائل العقائدية، بخلاف الشيعة والمعتزلة، فقد كان الإمام مالك يأمر باجتناب النقاش والجدال، قال الهيثم بن جميل: قلت لمالك بن أنس: يا أبا عبد الله، الرجل يكون عالما بالسنة أيجادل عنها؟ قال: لا ولكن يخبر بالسنة فإن قبلت منه وإلا سكت[3]، لذلك التزم الكثير من أهل السنة في تلك المدة السكوت واجتناب الخوض في الكلام، سواء في المشرق أو المغرب، إلى غاية نشوء تيار آخر من أهل السنة أيضا، رأى وجوب الخوض في الكلام، وضرورة الرد على الفرق الضالة، وأنه يلزم

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الانتصار لقول أهل السنة، قال الغزالي: أنكر أحمد بن حنبل على الحارث المحاسبي رحمهما الله تصنيفه في الرد على المعتزلة، فقال الحارث: الرد على البدعة فرض فقال أحمد: نعم، ولكن حكيت شبهتهم أولاً ثم أجبت عنها، فيم تأمن أن يطالع الشبهة من يعلق ذلك بفهمه، ولا يلتفت إلى الجواب أو ينظر في الجواب ولا يفهم كنه؟ وما ذكره أحمد بن حنبل حق، ولكن في شبهة لم تنتشر ولم تشتهر فأما إذا انتشرت، فالجواب عنها واجب ولا يمكن الجواب عنها إلا بعد الحكاية[4].

ومن هنا وَجَب التفريق بين الكلامين، الكلام السني والكلام البدعي، فنهي الأئمة عن الخوض في الكلام، المقصود به كلام أهل البدع، فمعرفة مقصودهم من النهي عن الكلام، يرشدنا إلى فهم كلامهم، قال الحليمي: ولم يأمنوا أن يوسع الناس في علم الكلام، أن يكون فيهم من لا يكمل عقله ويضعف برأيه، فيرتبك في بعض ضلالات الضالين وشبه الملحدين، ...، ولم ينهوا عن علم الكلام لأن عينه مذموم أو غير مقيد، وكيف يكون العلم الذي يتخلص به إلى معرفة الله تعالى وعلم صفاته ومعرفة رسله ... مذموما أو مرغوبا عنه[5]، وحتى مع هذا النهي عن الخوض في الكلام، والأمر بالتزام السكوت، جاءت آثار تسمح بالخوض لخواص العلماء، قال أبو العرب: وحدثني جبلة بن حمود، قال: وأخبرنا، يعني: سحنونا، أنه نظر في رسالة مالك إلى ابن فروخ، وكان ابن فروخ قد كتب إليه يخبره أن بلدنا كثير البدع، وأنه ألف لهم كتاباً في الرد عليهم، فكتب إليه مالك يقول له: إن ظننت ذلك بنفسك خفت أن تَزِل وتَهلك، لا يرُد عليهم إلا من كان ضابطاً عارفاً بما يقول لهم، لا يقدرون أن يَعرجوا عليه فهذا لا بأس به[6]، فيُفهم منها أن النهي ليس على إطلاقه، وأن السكوت لا يكون دائما، بل يجب بيان الحق على من يستطيع من العلماء، ولقد تصدى في هاته المدة الكثير من علماء السلف للرد على أهل الأهواء، قال البيهقي: ثم إن أهل الأهواء كانوا يدعون على أهل

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

السنة أن مذاهبهم في الأصول تخالف المعقول، فقيَّض الله تعالى جماعة منهم للاشتغال بالنظر، والاستدلال حتى تبحروا فيه، وبينوا بالدلائل النيرة، والحجج الباهرة أن مذاهب أهل السنة توافق المعقول، ... وقد كان من السلف من يشرع في علم الكلام، ويرد به على أهل الأهواء[7]، ومن متقدمي هؤلاء عبد الله بن يزيد بن هرمز، تفقه عليه مالك وصحبه مدة وحكى عنه فوائد، قال مالك: كنت أحب أن أقتدي به، وقال: وكان - يعني ابن هرمز - بصيرا بالكلام، وكان يرد على أهل الأهواء، وكان من أعلم الناس بما اختلفوا فيه من هذه الأهواء[8]، فهذا الإمام مالك يحب الاقتداء بأحد المتكلمين، ولعله كان عارفا بالكلام، كارها الخوض فيه لعامة الناس وأمامهم، قال السكوني عن مالك بن أنس: كان من علماء السنة، ومن العارفين بعقائد أهل التوحيد، وممن كان له اصطلاح وتمكن في هذا العلم، فإنه ثبت عنه أنه اختلف إلى ابن هرمز أربعة عشر عاما، في علم لم يطلع عليه أحد[9].

وقد أُثِر عن مالك الخوض في الكلام، كرسالته إلى ابن وهب في الرد على أهل القدر[10]، وكقوله: جالست ابن هرمز ثلاث عشرة سنة، ويروى ست عشرة سنة في عِلْم لم أبثه لأحد من الناس، وقال المهدي: أخبرني بعض نقاد المعتزلة من القرويين قال: أتيت مالك بن أنس فسألته عن مسألة من القدر بحضرة الناس فأومأ إلي أن اسكت فلما خلا المجلس قال لي سل الآن وكره أن يجبني بحضرة الناس، قال: فزعم المعتزلي أنه لم تبق مسألة من مسائلهم إلا سأله عنها وأجابه فيها، وأقام الحجة على إبطال مذهبهم حتى نفذ ما عند المعتزلي وأقام عنه[11].

ولعل رسالة مالك لابن وهب هي المقصودة بقول السَّلمي: فقول من قال إن واضع هذا الفن، هو الأشعري غير ظاهر، فإن أريد أنه من دون فيه، فغير مسلم أيضا، إذ قد ألف فيه مالك رسالة قبل ولادته[12]، وكلام السَّلمي هنا عن أول من دوَّن في

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

علم الكلام وتكلم فيه.

والحقيقة أن هذا الموقف السلبي من مالك في العموم، اتجاه الكلام وأهله، لم يكن خاصا بالكلام فقط، بل كل ما ليس تحته عمل، وكان هذا اجتهاده رحمه الله، فكان مالك بن أنس يقول: الكلام في الدين أكرهه وكان أهل بلدنا يكرهونه وينهون عنه نحو الكلام في رأي جهم والقدر وكل ما أشبه ذلك، ولا أحب الكلام إلا فيما تحته عمل فأما الكلام في الدين وفي الله عز وجل فالسكوت أحب إلي[13]، وهذا الموقف من مالك، خالفه فيه غيره من السلف الذين خاضوا في الكلام، أو سمحوا بالخوض فيه، كما سيأتي بيانه، كما خالفوه في رواية أحاديث الإضافات، فكان مالك ينهى عن التحديث بأحاديث فيها إضافات لله وروايتها، فعن ابن القاسم قال: سألت ملكا عمن يُحدِث الحديث إنَّ الله خلق آدم على صورته والحديث إن الله يكشف عن ساقه يوم القيامة وإنه يدخل في النار يده حتى يخرج من أراد فأنكر ذلك إنكارا شديدا ونهى أن يحدث به أحدا[14].

ويُنكر أيضا على من يُحدِث بها، قيل لمالك: فمن يُحدِث بالأحاديث: أنه الله عز وجل خلق آدم على صورته، وأن الله يكشف عن ساقه يوم القيامة، وأنه يدخل يده في جهنم فيخرج منها من أراد، وأن ابن عجلان يحدث بذلك فأنكر ذلك إنكارا شديدا، وقال: لم يكن ابن عجلان من الفقهاء، ولم ينكر حديث التنزيل ولا حديث الضحك، وأنكر حديث أن العرش اهتز لموت سعد[15].

بينما كان موقف محمد بن الحسن وسفيان وأحمد بن حنبل، موقفا مغايرا لموقف مالك، فكانوا يرون التحديث بها، ويروونها، ويسمحون بالتحديث بها، فعن أحمد بن نصر أنه سأل سفيان بن عيينة فقال حديث عبد الله أن الله يجعل السماء على أصبع وحديث إن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن وإن الله يعجب أو يضحك

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ممن يذكره في الأسواق وأنه عز وجل ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة ونحو هذه الأحاديث فقال: هذه الأحاديث نرويها ونُقرُّ بها كما جاءت بلا كيف[16]، وقال محمد ابن الحسن في الأحاديث التي جاءت إن الله يهبط إلى السماء الدنيا ونحو هذا من الأحاديث إن هذه الأحاديث قد روتها الثقات فنحن نرويها ونؤمن بها ولا نفسرها[17]، وسُئل الإمام أحمد عن هاته الأحاديث فقال: هذه الأحاديث نرويها كما جاءت[18].

فهذا التباين في المواقف من أئمة السنة والسلف، يدل على أن الأمر فيه سعة، ولا يضير الباحث، بأي رأي اقتنع به، فمن آثر السلامة بالسكوت فله ذلك، ومن رأى السلامة في الدفاع عن عقائد أهل الحق وبيانها وروايتها والتحديث بها فله ذلك أيضا، مع اتفاق الكل على نفي الكيفية، وإمرارها كما جاءت، وهكذا فَهِم أئمة السنة والسلف في الغرب الإسلامي كلام مالك وغيره، قال يحيى بن إبراهيم بن مزين: إنما كَرِه مالك أن يتحدث بتلك الأحاديث لأن فيها حدا وصفة وتشبيها، والنجاة في هذا الانتهاء إلى ما قال الله عز وجل ووصف به نفسه بوجه ويدين وبسط واستواء وكلام، فقال: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ البقرة: ١١٥، وقال:﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ المائدة: ٦٤، وقال: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ الزمر: ٦٧، وقال:﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ طه: ٥، فليقل قائل بما قال الله ولينته إليه ولا يعدوه ولا يفسره ولا يقل كيف، فإن في ذلك الهلاك، لأن الله كلف عبيده الإيمان بالتنزيل، ولم يكلفهم الخوض في التأويل الذي لا يعلمه غيره[19].

وبهذا يتبين لنا اختلاف أئمة السلف في التعامل مع العديد من القضايا التي طُرِحت في زمانهم حسب اجتهادهم، وسنرى انعكاسات هذا الخلاف على علماء الغرب الإسلامي.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد كلَّم الشافعي يوماً بعض الفقهاء؛ فدقَّق عليه وحقَّق، وطالب وضيَّق، فقال له: يا أبا عبد الله هذا لأهل الكلام، لا لأهل الحلال والحرام، فقال: أحكمنا ذاك قبل هذا[20]، فهذا الإمام الشافعي كان أحد المحققين في الكلام، والعارفين به، وله مناظرات شهيرة مع حفص الفرد، وطالت بينهما المناظرة في القرآن[21]، ثم اشتهر بعده جماعة أصبحوا يعرفون بمتكلمي أهل السنة في مقابل متكلمي المبتدعة، ومن هؤلاء الكرابيسي، والحارث المحاسبي، والقلانسي، وابن كلاب، وغيرهم، قال الشهرستاني: حتى انتهى الزمان إلى عبد الله بن سعيد الكلابي، وأبي العباس القلانسي، والحارث بن أسد المحاسبي، وهؤلاء كانوا من جملة السلف إلا أنهم باشروا علم الكلام، وأيدوا عقائد السلف بحجج كلامية، وبراهين أصولية[22]، فهؤلاء كبار الأئمة من السلف قد خاضوا في الكلام، أو تعلموا الكلام ورأوا استحباب عدم الخوض فيه[23]، أو سمحوا لخواص العلماء بالخوض فيه.

ثانيا: أعلام المدرسة الكلامية السنية في الغرب الإسلامي ومؤلفاتهم

لقد شاع الجدل في القيروان وغيرها من بلاد الغرب الإسلامي، فكانت كل المسائل التي تُثار بالمشرق، تجد لها صدى في الغرب الإسلامي، مثل مسائل الأسماء والصفات، وخلق القرآن، والإيمان، فلما رجع عبد الله بن الأشج أحد متكلمي المعتزلة، من رحلته إلى العراق، دخل عليه بعض أهل القيروان فقال لهم ما الذي يتكلم فيه أهل القيروان اليوم؟ فقيل له: في الأسماء والصفات، فقال تركت الناس بالعراق يتوافقون في القدر، والوعد والوعيد[24].

وأمام شيوع الجدل، وانتشار المجالس الكلامية، غيَّر أهل السنة موقفهم من الخوض في الكلام، والدفاع عن مسائل العقيدة، بعد أن كان الغالب عليهم السكوت، وعدم الخوض في المسائل الاعتقادية، فاشتغل بالمناظرة والرد على أهل البدع، جماعة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من السلف من الغرب الإسلامي، كعبد الله بن فروخ الفارسي، فكان يميل إلى النظر والاستدلال، والرد على أهل البدع، وكان يُكَاتِب مالكا، وكان مالك يعرفه ويكاتبه بجواب مسائله، له كتاب في الرد على أهل البدع والأهواء، ورُمِي بشيء من القدر حتى تبينت براءته، وكان يرى ترك الصلاة على المعتزلة، ومن كلامه في العقائد ما رواه أبو العرب قال: قال أبو بكر محمد بن محمد: حدثني أبو سهل فرات بن محمد، قال: حدثنا عبد الله بن أبي حسان قال: كنا عند عبد الله بن فروخ، فذكر هذه الآية: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ غافر: ١١، فقال له معاوية الصمادحي، وكان أجرأنا عليه: يا أبا محمد، قد قال الله، تبارك وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ البقرة:٢٤٣، فقال له ابن فروخ: تلك آية، فقال له معاوية: وعذاب القبر آية، فسكت ابن فروخ، قال لي أبو سهل فرات بن محمد: وإنما ذكر ابن فروخ هذه الآية احتجاجا على أهل البدع لأنهم يقولون: لا عذاب في القبر ولا حياة إلا حياة الآخرة[25].

وعبد الله بن أبي حسان، وقد كان مُفَوهاً قوياً على المناظرة، ذابّاً عن السنة، متبعاً لمذهب مالك، شديداً على أهل البدع، قليل الهيبة للملوك، دخل مرة على الأغلب، فإذا الجعفري والعنبري يتناظران في القرآن، فقال الجعفري: هذا شيخنا أبو محمد يعني ابن أبي حسان[26].

وتَكَلم ابن أبي حسان عن المفاضلة بين أبي بكر وعلي، ومن يستحق الخلاف بعد وفاة رسول الله ومسائل الإمامة والتفاضل بين الصحابة، من المسائل المُلحقة بمسائل العقيدة.

واشتغل بعلم الكلام قبل ظهور الأشعرية جماعة من الغرب الإسلامي من

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أصحاب القرون الثلاثة، حتى برزوا في الكلام، ومهروا فيه، كمحمد بن سحنون، وهو أحد علماء القيروان الذين اشتغلوا بالكلام في وقت باكر، قال عنه الخشني: ومحمد بن سحنون كانت له أوضاع في المناظرة في فقه الفقهاء وفي كلام المتكلمين، ثم ذكر له مناظرة في حدوث الصفات وقِدمها[27]، وقد كان ابن سحنون يخوض في العديد من المسائل الكلامية، فقد كان يكتب إلى عبد الملك بن الماجشون، يذكر له ما حدث من الكلام في التشبيه والقرآن، في بلاده، ويسأله الجواب عليه[28]، واهتم ابن سحنون بالمناظرة، والرد على المخالفين، فمن مؤلفاته في الجدل والكلام: رسالته في السنة، ورسالته في أدب المناظرة جزآن، وكتاب الحجة على القدرية، وكتاب الإيمان والرد على أهل الشرك، وكتاب الرد على أهل البدع، ثلاثة كتب، لكن أهم كتبه: كتاب الإمامة، قال عنه المزني: وكتَبَ إذ ذاك كتاب الإمامة بماء الذهب، وَوَجَّه بهما إلى الخليفة، قال عيسى بن مسكين: وما أُلِف في هذا الفن مثله[29].

وهذه المؤلفات لو وصلتنا لوضحت بشكل أكبر مساهمة المدرسة السنية المغاربية في المجال الكلامي، فشخصية بن سحنون، لم تأت من فراغ، بل هي امتداد لشيخه محمد بن نصر بن حضرم، الفقيه القيرواني، فيقال: إنه كان معلّم محمد بن سحنون في النَّظر، وكان سحنون يجله ويصله، وقال ابن حارث لما ذكره تحت باب: تسمية من انتحل النظر وتحلى بالجدل من أهل السنة وغيرهم من طبقة العلماء بالقيروان: كان فقيها، نظارا، ذا جدل وحجة، ولما مات قال محمد بن سحنون: رحم الله أبا الحسن، لقد كان معلّمنا، توفي بصقلّية في حياة سحنون وقريبا من وفاته[30].

وعبد الله بن غافق التونسي، أبو عبد الرحمن الفقيه، وعليه كان اعتماد مدينة تونس في الفتوى، وضع رسالة في الإيمان، ولم ينسبها إلى نفسه فكتبها الناس واستحسنوها فأذاعها رجل نحوي فبلغ الخبر ابن غافق فقال: إنما ظننت أنكم تعملون بما فيها فلما

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نُسِبت لغير أهل العلم والله لم يسعني السكوت أنا واضعها، وقرأتها على يحيى بن عمر فاستحسنها، وقال: أنا أرويها عنك، وكان يحيى بن عمر وحمديس القطان يعجبان بها، وكان قوي الحجة في المناظرة [31].

ومن مشاهير المتكلمين والنظار بالقيروان أحمد بن فتح الرقادي، يعرف بابن شفون، وكان يذهب مذهب الجدل والمناظرة والذب عن أهل السنة ومذهب أهل المدينة وله تآليف حسان في هذا الباب[32].

وأكثر المتكلمين شهرة، أبو عثمان سعيد بن الحداد، كان مشتغلا بالكلام والجدل والمناظرة، وكان مشتهرا بين الناس بسبب مواقفه من الشيعة الإسماعيلية، ودفاعه عن مذهب أهل السنة، ودارت بينه وبين أبي العباس المخطوم شقيق الداعي أبي عبد الله الشيعي الصنعاني نحو من أربعين مجلسا احتفظ لنا الخشني بأربعة مجالس منها، وقد أظهر أبو عثمان في هذه المجالس التفوق على مناظريه، فأفحمهم وكشف عن تمويهاتهم، فذب عن السنة، وقاوم زيغ وانحراف المذهب الإسماعيلي الباطني، حتى شبهه أهل القيروان بالإمام أحمد بن حنبل أيام المحنة، وكان له قبل ذلك مناظرات مع المعتزلة القائلين بخلق القرآن كالقاضي عبد الله بن هارون الكوفي، وعبد الله بن الأشج، وسليمان بن الفراء، ومن مناظراته مع غير الشيعة، ما قاله له سليمان الفراء يوما: أين كان ربنا إذ لا مكان؟ فقال له: السؤال محال، لأن قولك أين كان يقتضي المكان، وقولك إذ لا مكان ينفي المكان، فهذا نعم، لا، قال فكيف كان ربنا إذ لا مكان؟ قال له: السؤال صحيح ثم أجابه بجواب لم أحفظه عن حاكيه، وقد نقل محقق المخطوط أنه كُتب على الهامش عند قوله: ثم أجاب بجواب، الجواب أنه الآن على ما عليه كان ولا مكان[33]، حتى أصبح أبو عثمان يلقب بلسان السنة، لاشتهاره بمناظراته الكلامية[34].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومثل هاته المجالس كانت منتشرة بكثرة في المشرق بين رجال الفرق المختلفة، ثم انتقلت إلى المغرب، وذلك بسبب الوحدة التي كان يتمتع بها العالم الإسلامي، فكل ما كان يقع في المشرق يجد صداه في المغرب، فكما نشأت طائفة من أهل السنة في المشرق ترى وجوب الخوض في الكلام، والاشتغال به، كذلك الأمر في الغرب الإسلامي، نهضت طائفة من علماء السنة والجماعة، تدافع عن عقائد أهل السنة بطريق المناظرة والجدل والكلام.

وكان على طريقة أبي عثمان، محمد الرقادي القيرواني، الفقيه، المناظر. نشأ بالقيروان آخر أيام سعيد بن الحداد، وتقلد مذهب أهل السنة، وأخذ في الذب عنه على طريقة سعيد بن الحداد، والدولة العبيدية قائمة توالي نشاطها الدعائي لمذهبها، وتشتد في مقاومة أهل السنة، وكان ظهوره واشتهاره بعد سعيد بن الحداد، قال الخشني: وكان حادا حاذقا، بصيرا لحدود المناظرة، حاضر الجواب، مليح المناظرة وألَّف كتبا كثيرة في ذلك[35].

وممن كان على طريقة سعيد بن الحداد، رجل يسمى محمد يعرف بابن أحد الشركاء، يتكلم في الجدل على معاني سعيد بن الحداد وطريقته، واستفاد فائدة كبيرة من ابنه أبي محمد عبد الله بن سعيد بن الحداد لم يُفد بها أحدا غيره[36].

ومن المتكلمين أيضا في الغرب الإسلامي قبل ظهور الأشعرية أبو الفضل المِسْيِي، وكان مناظراً صاحب حجة، يتكلم في علم مالك كلاماً عالياً ويفهم علم الوثائق فهماً جيداً ويناظر في الجدل وفي مذاهب أهل النظر على رسم المتكلمين والفقهاء مناظرة حسنة وكان أبو الفضل ممن خرج لقتال بني عبيد مع أهل القيروان لما كان يعتقد من كفرهم، فرأى أن الخروج مع أبي يزيد الخارجي، وقطع دولة بني عبيد فرضاً، لأن الخوارج من أهل القبلة لا يزول عنهم الإسلام، ويرثون ويورثون، وبنو عبيد ليسوا

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كذلك، لأنهم مجوس زال عنهم اسم المسلمين، فلا يتوارثون معهم ولا ينتسبون إليهم[37].

وإبراهيم بن عبد الله الزبيري، المعروف بالقلانسي، القيرواني، أبو إسحاق، الفقيه المتكلم، امتحن على يد أبي القاسم بن عبد الله الشيعي، فضربه سبعمائة سوط، وحبسه في دار البحر بالمهدية أربعة أشهر بسبب تأليفه كتاب الإمامة، وقيل بسبب كتاب الإمامة الذي ألفه محمد بن سحنون، والدولة العبيدية الإسماعيلية الباطنية سلكت مسلك البطش والإرهاب مع فقهاء المالكية المخالفين لمذهبها وبالخصوص من يؤلف منهم تآليف تمس أصول وعقائد المذهب الإسماعيلي الباطني كالإمامة مثلا[38].

وإسحاق بن مسلم، أبو إبراهيم، كان يتكلم في الفقه على مذاهب النظر، وفي الأسماء والصفات على طريق المتكلمين وأهل السنّة، وكان نبيلاً متصرفاً[39].

ومحمد بن محبوب أبو عبد الله الزناتي، النّظّار، له كتاب في الرد على القدرية، قال ابن حارث: وكان حسن المناظرة جيد القريحة، قال لي عباس بن عيسى: قال لي الرّقّادي: لم يكن ابن محبوب يتعادق[40] في علم الكلام، وإنما كان كلامه في المناظرة الدائرة بين الفقهاء، في الفقه، قال: فشهدته يوما وقد جالسه بعض القدرية فخاضا الكلام في القدر، فأخذ بن محبوب كتبا بين يديه وجعل يكتب فيه مناقضة قول القدري، حتى ملأها فما رأيت كلاما أوعب منه لعيون المعاني[41].

ومن أهل الأندلس منذر بن عمر بن عبد العزيز، يكنى: أبا الحكم، سمع من محمد ابن فطيس الإلبيري واضحة عبد الملك بن حبيب وغير ذلك، وكان بصيرا بالكلام والحجة، توفي سنة أربع وثلاثين وثلاث مائة[42].

وأحمد بن خالد، من الأندلس من فقهاء المالكية تفقه بسحنون وشيوخ المغرب وأحيى الله به أهل الأندلس وانتفعوا به، ألَّف: كتاب العبادة، وكتاب الصلاة في

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

النعلين، وكتاب النظر إلى الله تعالى، ورسالة السنة، وغير ذلك[43].

وممن صنف في الرد على أهل الأهواء والبدع، قبل ظهور الأشعرية في الغرب الإسلامي، يحيى بن عمر بن يوسف بن عامر الكناني، وله مصنفات في العقيدة وأصول السنة: ككتاب الميزان، وكتاب النظر إلى الله عزّ وجل، وكتاب الرد على الشكوكية، وكتاب الرد على المرجئة[44]، ويحيى بن عون بن يوسف، له أيضا كتاب في الردّ على أهل البدع، توفي سنة ثمان وتسعين ومائتين[45].

وجعفر بن مسرور أبو القاسم الأبزاري، يعرف بابن المشاط، كان يحسن الرّد على الملحدين، وكان يذهب مذهب مالك ويجيده، توفي سنة تسع وأربعين وثلاث مئة[46].

وأحمد بن أبي محرز، كان بحرا من بحور العلم، حافظا للسّنن، عارفا بأصول الدّيانات، من أهل الورع والكرامات، وكان سيفا مجردا على أهل البدع والأهواء، قامعا لهم، غيورا على الشريعة، شديدا في ذات الله تعالى[47].

وبمِثل هؤلاء الأعلام من أئمة السلف ومؤلفاتهم الكلامية والعقدية، كُتِب النجاح للإسلام السني بالغرب الإسلامي، وتَم الانتصار لعقيدة السلف، وإثراء المباحث الكلامية من خلال التأليف والمناقشات والمناظرات، والتّأسيس لمدرسة كلامية سُنية بالغرب الإسلامي، كانت خير سَلف للأشعرية، مع التأكيد أن هذا التّوجه لم يأت لإقصاء التّوجه السابق الرافض للخوض في الكلام، بل الاختلاف بينهما اختلاف تكامل وتنوع، وليس اختلاف تضاد وإقصاء، إذ الهدف الكلي المشترك هو الحفاظ على عقائد أهل السّنة، وإن اختلفت الأساليب والطرق.

خاتمة

إنّ المدرسة الكلامية السُّنية في الغرب الإسلامي كانت أحد الأركان التي بعثت لدى المغاربة، روح الحيوية والنشاط في العلوم النظرية، وأبعدت عنهم شبهة العلم

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

غير النافع، وأعادت للإيمان أصالته، بتفعيل المعرفة على مستوى القلب واللسان والجوارح فكان كبار فقهائهم متكلمين ومتصوفة، وقد توصلنا من خلال هذا البحث إلى مجموعة من النّتائج نجملها فيما يلي:

1/ أنَّ المدرسة الأشعرية امتداد للمدرسة الكلامية السُّنية في الغرب الإسلامي.

2/ أنَّ كبار الأئمة من السلف خاضوا في علم الكلام، لكن منهم من استحب عدم الخوض فيه أو سمح فقط لخواص العلماء بالخوض فيه.

3/ أنَّ هناك من اشتغل بعلم الكلام في الغرب الإسلامي قبل ظهور الأشعرية، وهم جماعة من أصحاب القرون الثلاثة، حتى برزوا في الكلام، ومهروا فيه.

4/ أنَّ ضياع المؤلفات الكلامية لعلماء الغرب الإسلامي سبب في عدم وضوح مساهمة المدرسة السنية المغاربية في مجال علم الكلام بشكل جيد.

5/ أنَّ معظم مجالس الجدل والمناظرة في الغرب الإسلامي التي خاضها أعلام المدرسة الكلامية السُّنية كانت مع الشيعة والمعتزلة.

ـ الحواشي والإحالات:

1- راجع تعريفه في: إحصاء العلوم، أبو نصر الفارابي، ص:121، ت: عثمان أمين، الطبعة: الثالثة، 1968م، المواقف، عضد الدين الإيجي، 31/1، ت: عبد الرحمن عميرة، الناشر: دار الجيل - لبنان – بيروت، الطبعة: الأولى، 1417هـ - 1997م، المقدمة، عبد الرحمن بن خلدون، ص:507، الناشر: دار الجيل، بيروت.

2- إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، 40/1، الناشر: دار المعرفة - بيروت.

3- انظر: ترتيب المدارك وتقريب المسالك، أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي، 39/2، ت: مجموعة من المحققين، الناشر: مطبعة فضالة - المحمدية، المغرب، الطبعة: الأولى،جامع بيان العلم وفضله، أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي، 935/2، ت: أبي الأشبال الزهيري، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1414 هـ - 1994 م.

4- المنقذ من الضلال، أبو حامد الغزالي، ص:57، ت: محمود بيجو، الناشر: دار التقوى، الطبعة: الثانية،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

دمشق، 1992م.

5- المنهاج في شعب الإيمان، أبو عبد الله الحَلِيمي، 150/1، ت: حلمي محمد فودة، الناشر: دار الفكر، الطبعة: الأولى، 1399 هـ - 1979 م.

6- طبقات علماء إفريقية، محمد بن أحمد بن تميم التميمي المغربي الإفريقي، أبو العرب، ص: 36، الناشر: دار الكتاب اللبناني، بيروت – لبنان، وانظر: ترتيب المدارك، عياض،110/3.

7- شعب الإيمان، أبو بكر البيهقي، 181/1، ت: عبد الحميد حامد، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، 1423 هـ - 2003 م.

8- انظر: تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، شمس الدين الذهبي، 448/3، ت: الدكتور بشار عوّاد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، 2003 م، وشعب الإيمان، البيهقي، 182/1.

9- انظر: شرح التنبيه والإرشاد في علم الاعتقاد، محمد بن خليل السكوني، مخطوط محفوظ بالخزانة الحسنية بالرباط، المغرب، مسجل تحت رقم: 12995، الورقة: 5-ب.

10- انظر: كتاب القدر وما ورد في ذلك من الآثار، عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي، ت: عبد العزيز العثيم، الناشر: دار السلطان، الطبعة: الأولى، 1986م.

11- المدارك، عياض، 141/3.

12- الأزهار الطيبة النشر فيما يتعلق ببعض العلوم من المبادئ العشر، محمد الطالب بن الحاج السلمي، 209/2، ت: جعفر بن الحاج السلمي، الناشر: مطبعة الخليج العربي، تطوان، 1428هـ-2007م.

13- المرجع السابق، الصفحة نفسها.

14- انظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، 150/7، ت: مصطفى بن أحمد العلوي ، محمد عبد الكبير البكري، الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، 1387 هـ.

15- الجامع لمسائل المدونة، أبو بكر محمد بن عبد الله بن يونس التميمي الصقلي، 69/24، ت: مجموعة باحثين في رسائل دكتوراه، الناشر: معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي - جامعة أم القرى (سلسلة الرسائل الجامعية الموصى بطبعها)، توزيع: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، 1434 هـ - 2013 م.

16- العلو للعلي الغفار، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، ص: 153، الناشر: مكتبة أضواء السلف – الرياض، الطبعة الأولى ، 1995م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

17- الاقتصاد في الاعتقاد، عبد الغني المقدسي الحنبلي، أبو محمد، تقي الدين، ص: 109، ت: أحمد بن عطية بن علي الغامدي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1414هـ/1993م.

18- السنة، عبد الله بن أحمد بن حنبل الشيباني، 280/1، ت : محمد سعيد سالم القحطاني، الناشر : دار ابن القيم – الدمام، الطبعة: الأولى ، 1406هـ.

19- التمهيد، ابن عبد البر، 152/7.

20- مناقب الشافعي، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، 457/1، ت: السيد أحمد صقر، الناشر: مكتبة دار التراث – القاهرة، الطبعة: الأولى، 1390 هـ - 1970 م. قال البيهقي عن الشافعي: وكيف يكون كلام أهل السنة والجماعة مذموماً عنده وقد تكلم فيه. المناقب، 454/1.

21- الأسماء والصفات، البيهقي، 612/1.

22- الملل والنحل، أبو الفتح الشهرستاني، 93/1، الناشر: مؤسسة الحلبي.

23- قال البيهقي عن موقف الشافعي من الكلام وهو أعرف الناس به: فأما استحبابه ترك الخوض فيه، والإعراض عن المناظرة فيه عند الاستغناء عنها فقد كان رحمه الله يميل إليه مع معرفته به. المناقب، البيهقي، 457/1 .

24- طبقات علماء إفريقية، محمد بن الحارث الخشني، ص: 220، الناشر: ابن أبي شنب، الجزائر،1914م.

25- انظر: الطبقات، أبو العرب، ص: 34.

26- أنظر: رياض النفوس، أبو بكر المالكي، 284/1، ت: بشير البكوش، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، 1983م، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، إبراهيم بن علي بن محمد، بن فرحون، 418/1، ت: الدكتور محمد الأحمدي أبو النور، الناشر: دار التراث للطبع والنشر، القاهرة.

27- طبقات علماء إفريقية، محمد بن الحارث الخشني، ص: 198.

28- المدارك، عياض، 141/3.

29- تراجم أغلبية، القاضي عياض، ص:170، ت: محمد الطالبي، الناشر: الجامعة التونسية، 1968م.

30- المدارك، عياض، 233/4، جمهرة تراجم الفقهاء المالكية، قاسم علي سعد، 1213/3، الناشر: دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، الطبعة: الأولى، 1423 هـ - 2002 م.

31- انظر: المدارك، عياض، 400/4، تراجم المؤلفين، محفوظ، 448/3، جمهرة تراجم الفقهاء المالكية، قاسم علي سعد، 732/2.

32- انظر: جمهرة تراجم الفقهاء المالكية، قاسم علي سعد، 1172/3، الديباج، ابن فرحون، 170/1.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

33- الطبقات، الخشني، ص:199.

34- الديباج، ابن فرحون، 33/2.

35- الطبقات، الخشني، ص:217، تراجم المؤلفين التونسيين، محمد محفوظ، 370/2.

36- الطبقات، الخشني، ص:219.

37- انظر: المدارك، عياض، 297/5، الديباج، بن فرحون، 129/2، سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذَهَبي، 361/29، ت: مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، الناشر : مؤسسة الرسالة، تراجم المؤلفين التونسيين، محمد محفوظ، 381/4، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية، 1994 م، جمهرة تراجم الفقهاء المالكية، قاسم علي سعد، 597/2.

38- المدارك، عياض، 257/6، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن محمد بن عمر بن علي بن سالم مخلوف، الناشر: دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة: الأولى، 1424 هـ - 2003 م، تراجم المؤلفين، محفوظ، 411/2، جمهرة تراجم الفقهاء المالكية، قاسم علي سعد، 165/1.

39- المدارك، عياض، 336/5، جمهرة تراجم الفقهاء المالكية، قاسم علي سعد، 316/1.

40- يتعادق من عَدَق يَعدِق، وعدق برأيه أي: جازف به من دون تيقن.

41- الطبقات، الخشني، ص:213، تراجم أغلبية، عياض، ص: 402، جمهرة تراجم الفقهاء المالكية، قاسم علي سعد، 1186/3.

42- تاريخ علماء الأندلس، عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي، أبو الوليد، المعروف بابن الفرضي، 142/2، ت: السيد عزت العطار الحسيني، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الثانية، 1408 هـ - 1988م، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين السيوطي، 301/2، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العصرية - لبنان / صيدا.

43- الديباج، ابن فرحون، 168/1.

44- تراجم المؤلفين، محفوظ، 424/3، جمهرة تراجم الفقهاء المالكية، قاسم علي سعد، 1354/3.

45- تراجم المؤلفين، محفوظ، 200/2، جمهرة تراجم الفقهاء المالكية، قاسم علي سعد، 1356/3.

46- المدارك، عياض، 452/4، جمهرة تراجم الفقهاء المالكية، قاسم علي سعد، 378/1.

47- معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، أبو زيد الدباغ، 40/2، ت: محمد الأحمدي، الناشر: المكتبة العتيقة، تونس، رياض النفوس، المالكي، 395/1.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

Sunni doctrine school in islamic west before show Asharism

Shafei Mohammed Abdul Latif / Dr. Abdelghani Akak
moha350@gmail.com / abdelghani_akak@yahoo.com
Faculty of Islamic Sciences- Alger 1 University

Abstract:

Scientists interested in doctrine in the past and also in present, because since it was revealed it had a link with the major cases that were treated by islam, people who were specialized in dotrine took the role of defending islam, and also to protect it from doubts of enemies, in different periods of time and regions of place, and some think that most important thing that scientists of islamic west were working on is fikh but the truth is the opposite, that many doctrine schools were present in that period of time left their print in the life of ideas and dotrine, as muatazila and ismailiya, but many researchers did not aware of the existence of the sunni school, they also think that the appearance of doctrine in islamic west was made by asharists, from these ideas came that scientific paper to show that asharism is the completing of the sunni doctrine, and to clear that we talk firstable on the situation of salaf on doctrine, then we talk in details on the most important characters of sunni doctrine school in islamic west and their writing.

Keywords:
Doctrine; the school; sunna; islamic west; asharism.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com